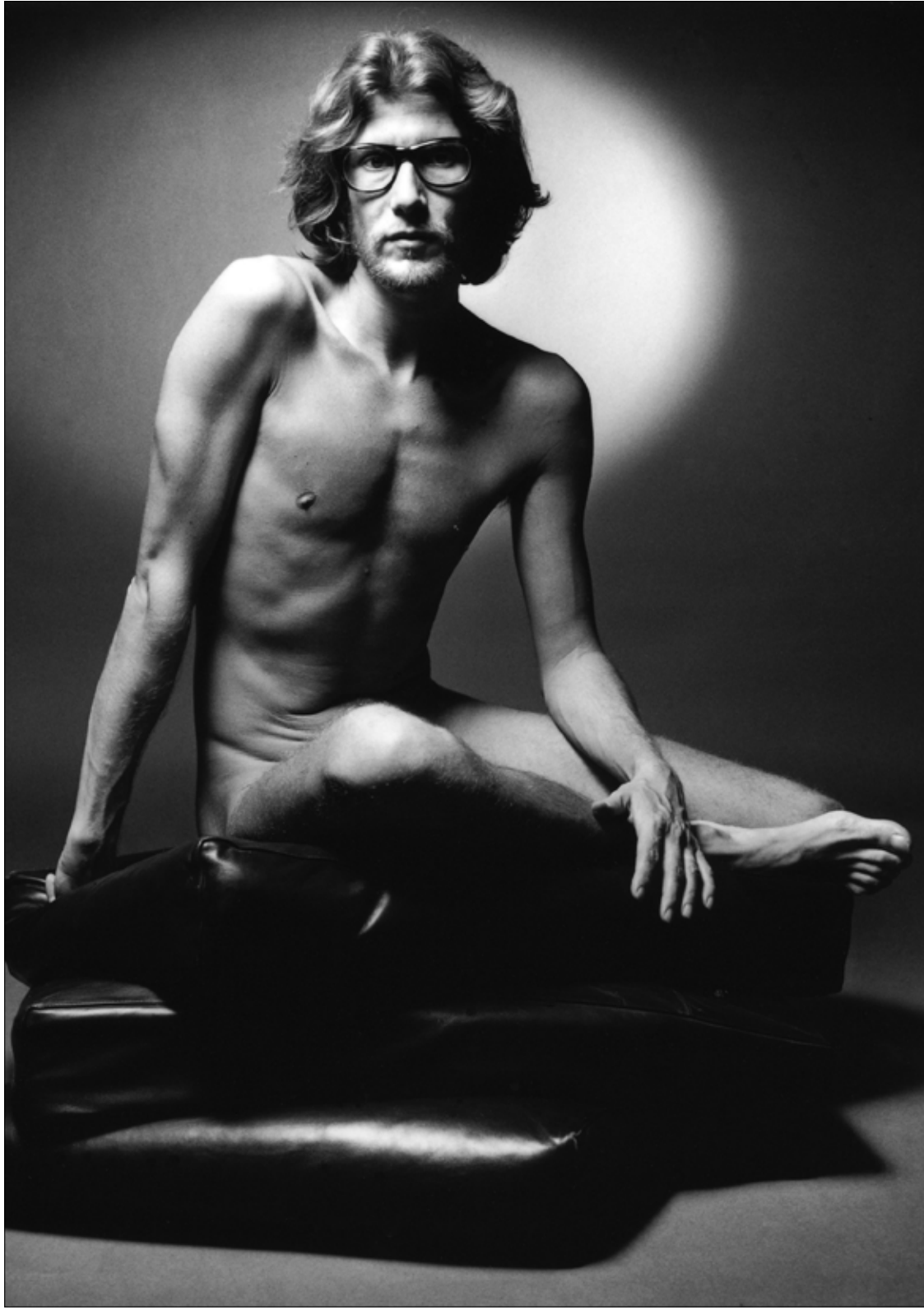


إيف سان لوران



البورتريه الشهير الذي التقطه جان لو سيف في مناسبة اطلاق عطر سان لوران الالوك للرجال مظلم السبعينات

تقوم بتنفيذ رائع لإطالة المتعة، إن الإخفاء والتستر هو لغرض توهج الشهوة وشبوبها، حيث يتحول الإخفاء إلى لعبة متبادلة يعطي الرجل والمرأة فيها كل طرف نفسه للطرف الآخر.

وحدها الثقافة الغربية التي ربطت بين الملابس والأستيقا (الجمال)، قدرة على إنتاج عقلية إيف سان لوران الخلاقة، بينما تراجعت الحضارات الأخرى كلها بما فيها الحضارة الإسلامية لترتبط بين الملابس والإيقا (الأخلاق). وكلنا يعرف كيف أجهزت عقلية الفقيه في الحضارة الإسلامية على عقلية الفيلسوف بجعل الجسد شائناً ومرفوضاً، ليصبح الجسد المغطى عند الغزالي بالتقابل مع الجسد الصريح عند ابن رشد. فقد حدث في الحضارة العربية الإسلامية نوع من المواجهة القاسية بين التراث الهيليني والتقليد الديني، كما غادر الإسلام عصره الذهبي، أي العصر الوسيط، وإن استطاعت منظومة الفقيه كبح جماح الهيلينية المتسللة، واستطاعت رد الحياة الإسلامية إلى نوع من التقشف القاسي. إلا أن الهيلينية استطاعت التسرب بقوة إلى الحضارة الغربية حتى هيمنت عليها، إنها الجدلية الخلاقة التي أثمرت روح المنطق العاطفي منشيقاً مع المنطق العقلي، حتى المنطق الذي تأسس في الحضارة الإسلامية على المعرفة بالتصورات، وهو جزء من المنطق الاشرافي الذي لا يسلم - بدوره - من تأثير المنطق العقلي، إلا أنه كبح تقديسه للجسد، ولم يبق من الجسد المدلل والمتع في الحضارة الإسلامية إلا الجسد العليل في منظومات ومدونات الطب العربي الوسيط.

وإن كان هذا الجدل كائناً في ثقافة العصر الوسيط في الغرب، إلا أن تسلل الهيلينية كان حاسماً. لقد عدت الحضارة الغربية الملابس نوعاً من استدرج الرغبة والحب، هذه المعجبة spectacle هذه المشهية الإعلانية لعروض الأزياء: نساء جميلات فارعات الطول، ترتسم على وجوههن نظرة جانبية صارمة، بينما يرقب الجمهور هذا التناسق المذهل في انتظار مصعوق، وتبقى العدسات مسحرات إلى الحركة المنضبطة، حركة الجسد في أقصى رشاقته وتناسقه، لالتقاط اللحظة الدراماتيكية من حكاية إيروس.

لقد توفي إيف سان لوران، الأسطورة الأكثر توهجاً في عالم تصميم الأزياء، بعد مرض طويل عن عمر ناهز السبعين عاماً، وفي كل حياته كان شاعراً بارعاً ومصوراً فناناً، استوحى في تصاميمه الخلاقة الأعمال الخالدة لماتيس، وفان كوخ وغوغان، واستوحى القصائد الأكثر حسية من ديوان رامبو، والأكثر تجريدية من ديوان فاليري، وخلق ببراعة كاملة نوعاً من الموازنة بين توهج الروح وحركة الجسد وبين طديعة النسيج أو القماش مع الألوان. إلا أن نفوذ سان لوران في عالم الأزياء انحسر أواخر تسعينيات القرن الماضي، كما انخفضت أرباح مشغله مما اضطره إلى اغلاقه في عام 2002، فهل نحن أمام صعود انتصاري للأزياء الأميركية، هذا الخليط المشوش بين فن الكبتش والذوق الشعبي، وهي الهيمنة الطاغية التي بشر به أندي وار هول للفن الأكثر ابتذالاً بلا منازع.

* روائي عراقي

الحضارة الغربية مقطرة، فقدست الحياة الحسية، وأفردت فراغاً هائلاً للحياة اليومية، هذا افتراقها عن الغرب، وافتراق الغرب عن كل الحضارات الإنسانية، ذلك أنه وحده الذي طور أستيقا كاملة

كانت أزياءه خارجة من جلسات الشباب في كهوف القنب، وأغاني ليو فيريه وجورج براسانس

أجهزت عقلية الفقيه في الحضارة الإسلامية على عقلية الفيلسوف، بجعل الجسد شائناً

عن الأزياء تسللت له عبر الثقافة الهيلينية. في كل الحضارات الإنسانية تقريباً، تتعلق الملابس بالطهرانية، بينما تتعلق الملابس في الغرب بالجنسانية، لا من تقديس العاطفة وحدها، إنما من تدليل الجسد أيضاً، فالملابس

صعدت هذه النزعة الخلاقة من مقاهي الحي اللاتيني التي أطلق عليها سياسيتان سالازار بوندي: «معابد الله الأكثر إثارة في الكون». إنه عصر العودة إلى الهيلينية العظيمة التي كبحتها البرجوازية المتشقة، عصر الطلاب، والفنانين، والمغامرين، والبوهيميين في باريس التي أصبحت مدينة الثورة بلا منازع. المدينة التي سكرت بمغامرة أيار 1968، عندما ملأ شباب باريس الحي اللاتيني بالمطرب، وأعلنوا وجوب أن تكون واقعيين ونختار المستحيل، عصر اليسار الجديد الذي أطلقه كوهن بينديت بالتناقض مع العقائدية الجامدة للحزب الشيوعي الفرنسي. لقد أدرك إيف سان لوران أنه أمام عصر جديد، عصر إحياء عارم للابيقورية الحسية التي وجد فيها بنامان دوس العالم الأكثر شهوانية في الفصل الغربي، وقد استمرت هذه النزعة طويلاً. فقد طرح عطره الصادم «أوبيوم» (أفيون) في عام 1977، ذلك أن فرنسا، من وجهة نظري، كانت هي

التصميمين ببراعة فذة فيما بعد، أي بعدما أصبحت له مؤسسته الشهيرة الخاصة. لكن هذه الروح البرجوازية واجهت تحديات ليس من السهل تجاوزها، فقدست الستينيات في أوروبا هو عقد الانبهار بالروحانية الهيلينية والرفض الجماعي للمؤسسة البرجوازية، ورفض الأخلاق التقليدية حتى من قبل أبناء هذه الطبقة الذين التحقوا بالجامعات. وما كان لإيف سان لوران أن ينفلت من هذا الافتتان الخلاب بالصرعات والموديلات التي طرحها ثورة أيار، المتعة المتفلتة والفوضوية التي لم تروضها السلطة بعد. لقد كان إيف سان لوران متأثراً بهذه الثورة الجسدية التي طرحها الغرب كنوع من الافتتان بالموجود والكائن بدلاً من النزعة الرأسمالية والعقائدية التي أنتجت الحربين الكونيتين. وهكذا صعدت هذه الروح الصاخبة لا من صالات العرض البرجوازية المترفة، إنما من مفرق الأوديون، ومن رصيف مقهى كلوني، ومن تقاطع سان ميشيل وسان جيرمان،

علي بدر *

أمام مصنف ألبيوم «إيف سان لوران» (1936 - 2008) الاستعادي واستعراضاته، الصادر في باريس هذا العام، استوقفتني عروضه الصادمة في عقد الستينيات، لا باختلافها الحقيقي عن كل مسيرته الفنية الفذة بدءاً من عمله المذهل منتصف الخمسينيات مع كريستيان ديور، وانتهاء بأعماله التي عكست باناقتها وإثارتها الدور المؤثر الذي أخذت المرأة بأدائه في المجتمع الغربي في عقد الثمانينيات، إنما باختلافها عن كل المصنف الأزيائي العالمي الذي برعت الحضارة الغربية بإنتاجه على نقيض الحضارات الإنسانية برمتها.

وهكذا كنت مأخوذاً ومندهشاً بالكامل أمام مصنف ألبيوم إيف سان لوران واستعراضاته الخالية في الستينات، التي كانت مختلفة اختلافاً كلياً عن كل ما صنعه ببراعته الفذة في كل ما تلاها وما قبلها أيضاً، ذلك لأنه لم يرسم أزياءه عبثاً، إنما كان إيف سان لوران ممثلاً حقيقياً لروح عصره. كانت أزياءه التي قدمها في الستينات خارجة من جلسات الشباب في كهوف القنب، وأغاني ليو فيريه وجورج براسانس، ممثلة لحركة الهيبينز حيث ولد المبني جوب، والشعور الطويلة، والملابس الغربية والإكسسوارات الصادمة التي كرستها الأعمال الموسيقية الاستعراضية، وكانت متوافقة كلياً مع اختفاء سلالة كاملة من المشاهير المتعرفين والمعزولين: مورياك، أرون، ميرلو بونتي، مارلو، ومتوافقة مع الظهور الصاخب لنزعة جديدة صاعدة مثلها البنيويون التدميريون مثل ميشيل فوكو ورولان بارت، وجيل ديلون وجاك ديريدا، كانت هذه الأزياء التي استمدت روحها من البوهيميين المتسكعين في شوارع باريس، والمتحمين الحالمين بالثورة في أميركا اللاتينية، ويمؤامرات المفاهي، ومتوافقة كلياً مع النزعة التحررية للرواية التي مثلها الآن روب غرييه، والمماحكات الفكرية للجيل الأحدث مثل فيليب سولرز وجولي كريستيفا.

ومن هنا مكن الصدمة أو مكن المفارقة الضدية، من وجهة نظري في أعمال إيف سان لوران الخلاقة، ذلك أن الأزياء هي بنت المجتمعات البرجوازية الصاعدة، وجزء من فخفتها وسعادتتها، فكيف يستعير سان لوران من الشارع باترونها ونموذجها؟ لقد ولد سان لوران في مدينة وهران الجزائرية عندما كانت تحت الاستعمار الفرنسي، وهذه المدينة الكولنيالية هي التي ألهمته أزياء السفاري التي اشتهر بها بعد التحاقه بدار كريستيان ديور في باريس في عام 1954، فقد صنع ذلك الوقت نوعاً من الإعجاز الجمالي الكلي، ليس فقط بالتناغم بين الألوان، إنما بالتناسق المذهل بين جسد المرأة والملابس، وجعل التفصيل (الخطاطة) قدرة على إنتاج نوع من الرعشة الجمالية لا تقل توهجاً عن الرعشة المكتسبة من الفن. وبعدما أصبح كبير مصممي ديور بعد وفاة كريستيان ولم يتجاوز عمره آنذ العشرين عاماً، ضم للمرأة زي السموك الرجالي الذي لم يعد حكراً على الرجال منذ ذلك الوقت. وقد استثمر هذين